# خلع عبد الحميد

## خاتمة المقال

اعظم ما امتاز به عمل شوكت باشا السرعة التي تمّ بها حتى شبّه باعمال نبوليون فانهُ اتى الاستانة بعشرين الفاً مع ما يلزم لهم من الميرة باسرع ما يمكن من الوقت ولم يكد يصل اليها حتى استولى عليها ووطّد الامن فيها وقبض على الثائرين والمحرضين على الثورة وفي اقل من اسبوع صار في قبضتهِ نحو ستة آلاف منهم وانشأ ثلاثة مجالس حربية لمحاكمتهم ورد اثني عشر الفاً من الحامية القديمة الى سلانيك نصفهم بسكة الحديد برّاً ونصفهم بالسفن بحراً . وقد وجد مع احد الاكراد ثلاثة مسدسات كبيرة واربعة خناجر وكان متمنطقاً باربع مناطق من الخرطوش . ووجد في بيت مقدار كبير من الاسلحة والميرة وفي بيت آخر خمسة عشر رجلاً متزيين بزي الخوجات . وقبض رجالهُ على حمالي الاكراد ووضعوهم في الخانات تحت المراقبة خوفاً من شرهم وضيقوا على رجال المطافي لانهم لا يقلون عن الحمالين شرًّا

وحالما استتبَّ الامن في المدينة أطلق اكثر الذين قُبض عليهم ولم يبقَ الاَّ الذين ترجَّح انهم حرَّضوا على الفتنة او اشتركوا فيها فعلاً فان هؤلاء حوكموا وحُكم على بعضهم بالقتل ومنهم محمد باشا الفباعتقال ياور عبد الحميد الذي كان حملهُ الخاص اغراق المغضوب عليهم في البوسفور وجوهر اغا رئيس الخصيان

واجيز للسراري ان يعدن الى اهلهنَّ او يقترنَّ بمن يردنهُ و يريدهنَّ فاتى اقارب بعضهنَّ وردوهنَّ الى بلادهنَّ التي خُطفن او بعنَّ منها

اما عبد الحميد فبعد ان بلغهُ خبر خلعهِ جاءهُ وفد من قبل المجلس واخبرهُ بما قرَّ عليهِ القرار وهو ارسالهُ الى سلانيك . قال الجنرال حسني باشا وهو رئيس هذا الوفد

« ذهبت الى يلدز الساعة التاسعة من ليلة السابع والعشرين من ابريل لاخبر عبد الحميد اننا قرَّرنا ارسالهُ الى سلانيك وكان معي الاميرالاي غالب بك والقومندان علي فتحي بك فالتقيت بجواد بك في غرفة من غرف المابين الصغير وقلت لهُ اني آتٍ لاكلم مولاك فاخبرهُ بذلك فقال اياك ان تفعل لانهُ حسن الرماية لا يخطئ من يرميهِ بالرصاص فيقتلك ويقتلني . فقلت لهُ اما انت فحياتك في يدي فان شئت اقتلك وان شئت ابقيك فاذهب وافعل ما امرتك بهِ وقل لعبد الحميد اني آتٍ لاكلمهُ في امر هام امر يتعلق بحياتهِ

« فذهب وعاد بعد ربع ساعة ومشى امامي من غرفة الى اخرى الى ان وصلنا الى غرفة

كبيرة في دار الحريم واذا بعبد الحميد واقف فيها و يدهُ في جيبهِ كأنهُ قابض على مسدس فيها و يقول نالب بك وقفي بك في الباب واما انا فدخلت وسلمت بالاحترام التام وقلت ان المهمة التي أُرسلت فيها الى جلالتكم يصعب عليَّ قضاؤها فقد ارسلتني الامة والجيش لاذاكركم في امر يتعلق بحياتكم فان لحياتكم شأناً كبيراً في عين الامة وفي عين البيت العثماني ولا تريد الامة ان تعاملكم بالعنف ولذلك امرتني ان انظر في هذا الامر مع جلالتكم واني اؤكد لكم بل اقسم لكم ان حياتكم في امن فلا محل للخوف مطلقاً من هذا القبيل وانتم تعلمون ما اصاب سلفاءكم وما حلَّ باخيكم مراد ونحن لا نقصد ان نفعل شيئاً من ذلك ولا الامة تريدهُ ولكن ارادتها ثابتة لا يمكن ابطالها وهي انهُ لا يجوز ان يكون سلطانان في مكان واحد وهذا في مصلحتكم ومصلحة الامة ايضاً

« فقال فهمت معناك فماذا تريد

« فقلت اريد ان اذهب بك الى سلانيك

« فاضطرب وقال لماذا الى سلانيك انا شيخ ومريض واحب ان اقضي بقية ايامي في الاستانة في قصر چرغان حيث ولدت وحيث مات اخي مراد هناك المحل الذي يصلح لي او اطلقوا سبيلي ودعوني اذهب الى اوربا »

ثم وصف حسني باشا ما عاناهُ من المشقة في اقناع عبد الحميد الى ان قال « واخيراً أُغمي عليهِ فاسرع نساؤهُ اليهِ يرششنهُ بالماء و يبكين واجتمع اولادهُ ونساؤهُ حولهُ وجعلوا يتوسلون اليهِ لكي يرضى بما قسم لهُ فرضي مكرهاً »

وقرَّ القرار على ان يرافقهُ الى سلانيك ثلاث سلطانات واربع سراري ( قادين ) وابناهُ عبد الرحمن وعبد القادر وخمس جواري ( قالفه ) واربع اغوات وتسع من الخدم والجملة ٢٧ نفساً

وطُلب منهُ ان لا يأخذ معهُ شيئاً الاَّ ما لا بدَّ منهُ كالصابون والمناوبك لكي لا يخفي اموالهُ وجواهرهُ بين امتعتهِ التي يأخذها . ولقد كان هذا الطلب في محلهِ لانهُ وُجد في غرفة من غرف السراي بعد خروجهِ منها ثمانية صناديق من صناديق السفر مملوَّة بالقمصان والسراويلات ونحوها وتحتها كثير من الحلي الثمينة ومنها عقد من اللؤلؤ يساوي ٧٤ الف جنيه . و بعد الثنيا والتي سمح لهُ وللذين معهُ ان يأخذوا معهم ثلاثة صناديق صغيرة لم تفتح ووعدهُ المكدونيون ان يرسلوا اليهِ كل ما يحتاج اليهِ وعملوا برعدهم فبعثوا اليهِ في اليوم التالي مركبات محملة من الامتعة بعد ان تحققوا ان ليس فيها شيء من الحلي والاموال

وكان الموكب الذي خرج فيه من القصر مؤلفاً من اتومبيل مدرع فيه حسني باشا ونفر من الفرسان وورائه لندو كبير فيه عبد الحميد وولداه ونساؤه الثلاث وبعده مركبات تقل سائر المرسلين معه ثم اتومبيل مدرع وفرقة من الفرسان في الساقة وعلى جانبي الموكب

وخرج هذا الموكب من بلدز نصف الليل وأهل الاستانة نيام الى ان بلغ محطة سكة الحديد . واستولى الغم على عبد الحميد فلم يرفع رأسه الى ان لاحت له انوار المحطة فقال في نفسه تقضي الامر فسلم للقدر المحتوم وصعد على سلم المحطة بقدم راسخة ولم يكن قد رأى قطراً منذ ٣٣ سنة وكانت شركة سكة الحديد قد بنت له مركبة فاخرة انفقت عليها مليوناً ونصف مليون من الفرنكات فلم يستعملها الا الآن . وبعض نسائه لم يرين القطرات والقاطرات قبل الآن فلما رأينها خفن منها ولا سيما حينما شرعت القاطرة تتنفس

وكانت الساعة ٢ ½ بعد نصف الليل وطلب عبد الحميد ماء وقال لا اريده معدنياً فاتي بزجاجة من ماء ينبوع طاش دلان فشرب هو والذين معه . وركب معه علي فتحي بك وعشرون من الجندرمة في مركبة اخرى واما حسين باشا حسني وغالب بك فبقيا في المحطة وبعد ربع ساعة صفر القطر وسار بلا وداع ولا دعاء ولم يقف الا في دده اغاج حيث ابدلت القاطرة بغيرها وكان هناك قطر آخر يقل جانباً من الجنود المتمردين ولكن لم يدر احد الفريقين بالآخر . وكان السائق قد أمر ان لا يقف في محطة من المحطات واذا اراد اخذ الماء من محطة فعليه ان يترك المركبات بعيدة عنها ويتقدم بالقاطرة وحدها يستقي الماء ثم يعود الى المركبات ويقطرها

واقتضى السفر نحو عشرين ساعة لم يأكل عبد الحميد في خلالها شيئاً وبلغ القطر سلانيك الساعة العاشرة من مساء الثامن والعشرين من ابريل وكانت محطتها في يد الحربية وقدم له اوتومبيل ففضل ان يركب مركبة وكذلك الذين معه فركبوا المركبات وفي الساعة الحادية عشرة استقبله هادي باشا والي سلانيك في باب دار اللاييتي التي استؤجرت لسكناه وهي لعائلة من يهود سلانيك بنتها منذ عشر سنوات تبعد عن البحر نحو ٨٠٠ متر شرقي سلانيك يحيط بها حديقة شجراء وسور . والدار كبيرة رحبة ويظهر مما قاله عبد الحميد لهادي باشا وفتحي بك انه مر بها وبالحديقة التي حولها ثم شكا من حرمانه بعض الاشياء مما كان يصليه في بلدز فأتي بكل ما طلبه حتى الدجاج والديوك

وفي اول مايو طلب شوكت باشا من مجلس المبعوثان ان يعين لجنة تذهب الى بلدز وتكتب كل ما فيها فعينت اللجنة واتمت عملها بمساعدة نادر آغا وهاك بعض الفقرات من تقريرها

« اليوم في ٢١ نيسان (حسابًا شرقيًا) فتحنا ثلاثة صناديق حديدية في القسم السري من قصر يلدز فوجدنا فيها من النقود الذهبية والفضية ما يساوي تسعين الف ليرة عثمانية ». وجملة ما وجدتهُ اللجنة من النقود ٤٨٠ الف ليرة ومن الحلي ونحوها ما ثمنهُ مليون و ٨٠٠ الف ليرة

وكان دخل عبد الحميد من المناجم ٣٠٠٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠٠ ليرة في السنة فنقلت هذه المعادن الى الحكومة وكان لهُ من الجفالك اكثر من ١٥٠٠ جفتلك اكثرها في ولاية بغداد ومن الاحراش ما مساحتهُ اكثر من ٢٥٠٠٠٠ فدان اكثرها في ولايات قسطموني وسيواس وسلانيك ويقال ان دخلهُ السنوي من هذه الجفالك والاحراش كان ٢٨ مليون فرنك. وكان لهُ في البنوك مليون و ١٢٠ الف ليرة اكثرها في البنوك الاجنبية ولما عرف رجال الحكومة ذلك خافوا ان يستعمل هذه الاموال في ارشاء حراسهِ فقرروا اخذها منهُ وارسلوا اليهِ جواد بك لكي ينقل هذه الاموال الى بنوك عثمانية. وكلمهُ فتحي بك في هذا الموضوع قال « قلت لعبد الحميد انني أُمرت لاخبرهُ ان الامة العثمانية ترغب اليهِ ان ينقل اموالهُ الى بنوك عثمانية فيظهر بذلك حبهُ لبلادهِ ورغبتهُ في عظمتها. فقال واي ضمان لي اذا فعلت ذلك وماذا يحل باولادي اذا حرموا من كل ما املكهُ. واود ان أُعطى بعض الضمانات على اني انال حريتي. فقلت لهُ ان في الدستور العثماني اكبر ضمان لهُ فمجلس المبعوثان قطع لهُ الف جنيه كل شهر وانهُ لا يمكن اطلاق سبيلهِ الآن لبعض الاعتبارات السياسية وان المستقبل يتوقف على السلوك الذي يسلكهُ. فسكت ثم طلب ان يمهل اربعًا وعشرين ساعة حتى يفكر في الامر ». وجاءهُ فتحي بك في اليوم التالي ومعهُ مكاتيب كتبها لمديري البنوك التي اودع فيها امواله لكي يرسلوا ما عندهم من اموالهِ الى من يعتمدونهم في سلانيك وطلب منهُ ان يوقعها وكان مجموع هذه الاموال مليونًا و ٨٠ الف ليرة فوقعها

وفي منتصف يوليو جاءهُ حمدي باشا قومندان الاوردي الثالث وعلي رضا باشا رئيس اركان الحرب ومعهم بعض الالمان نواب البنك الالماني ووكيل قنصلاتو المانيا وسلموهُ ما عندهم من النقود والاسهم والسندات واستلموا منهُ وصلين باستلامها احدهما مكتوب بالتركية والآخر بالالمانية فوقعها بيدهِ ووقع الحضور شهادة بذلك. واهدى هذه الاموال كلها الى الاوردي الثالث. ثم دخل المسيو فيتالي مدير البنك العثماني ومعهُ وصولات اخرى فوقعها عبد الحميد فاخذت منهُ كل اموالهِ وقطعت لهُ الحكومة الف ليرة كل شهر مدى عمرهِ وستمئة ليرة كل شهر لكل من اولادهِ الثلاثة

اما يلدز فوجد فيها كثير من الحلي والنقود غير ما اشرنا اليهِ قبلاً وقدّر ثمن الحلي والجواهر كلها بنحو ٧٥ الف ليرة ولكن الذي بيع منها في باريس اخيراً لا يزيد ثمنهُ على ٢٠٠ الف ليرة . واهم ما وجد في الجرنالات تقارير الجواسيس وقد ملأت اكثر من ثلثمئة صندوق فعلى حادثة القنبلة اكثر من ١١٠٠ جرنال نحو الف منها من الاتراك ومئة من الارمن وثلاثة من اليونان و١١ من الاجانب . وتليها في الغرابة الاصطبلات وبيوت الحيوانات في الاصطبلات خمس مئة جواد اكثرها من الاصائل العربية فاخذ الضباط المكدونيين ثلثمئة منها وابقوا المئتين لاسطبل السلطان محمد الخامس

وكان عبد الحميد يقرأ عن حيوان غريب فيرسل الى صاحبهِ ليأتيهُ بهِ ويشتريهِ منهُ وكثيراً ما كان الرجل يأتي بالحيوان فينسى السلطان امرهُ ولكن الحيوان يؤخذ منهُ ويعظى ثمنهُ ويقطع لهُ راتب شهري يتقاضاهُ شهراً بعد شهر وسنة بعد اخرى ولا من يسأل . ذكر المؤلف ان رجلاً انكليزياً طُلب منهُ ان يأتي الاستانة ببعض الطيور النادرة فاتى بها ووضعت في اقفاص يلدز وقُطع لهُ راتب شهري فاقام في الاستانة وتزوج ورزق اولاداً وذات يوم دعي الى السراي فجأةً بحجة ان السلطان طلب ان يراهُ ولما حضر قيل لهُ ان السلطان يأمرهُ بان يطلب اسداً مريضاً

ومن اغرب ما في يلدز مرصد فلكي فيهِ نظّارة فرنسوية حسنة جدًّا لكن عبد الحميد انزلها من مراقبة افلاك السماء الى مراقبة ابن اخيهِ الامير يوسف عز الدين

وينتظر ان يوجد في قصر سلطان من سلاطين آل عثمان تحف نادرة مما وقع لاسلافهِ السلاطين من الغنائم التي غنموها والهدايا التي اهديت اليهم والآثار التي وجدوها في عاصمة القياصرة ولكن لم يجد المكدونيون في يلدز سوى تحفًا قليلة حفظها عبد الحميد من غير ان يعرف قيمتها من ذلك مجموعة من النقود الرومانية فيها ٣٢٦٠٠ قطعة وبعض الكتب القديمة وصرجان قديم وبعض الاسلحة القديمة وكثير من البسط الفارسية وبسط معمل هركه . ووجد في خزانة حديدية بعض نسخ من القرآن ومعها امنهم من امنهم سكك الحديد . اما المسابح والعصي والشبقات فاكثر من ان تحصى وكذلك البيانات والغراموفونات والساعات والقمصان والقبعات ( الياقات ) والمفاتيح والاسلحة المختلفة ولا سيما المسدسات

وكثيراً ما وجد في السراي اشياء ثمينة مبعثرة او ملقاة في غير محلها . ذكر الدكتور عصمت انهُ وجد كتاباً من نبوليون الثالث ملقى على مائدة ووجد تحت كومة من الخرق ختم السلطان عبد العزيز مرصعاً بالماس والى جانبهِ ختم آخر لا يساوي غرشين ومنطقة شبكها مرصع بالماس

وختم ثمين لصاحبه سلطانه . وقد وجدت هذه التحف في غرف مفتوحة الابواب يدخلها كل من دخل يلدز

هذا ما انتهى اليه امر عبد الحميد حينما ألّف المؤلف كتابهُ وحتى الآن لم يحدث في شأنه امر يستحق الذكر اما الذين خلعوهُ فلم يتمكنوا حتى الآن من اسعاد العباد ولا من اصلاح البلاد ومن المرجح ان العبءَ اثقل مما يستطيعون حملهُ لان الادواء اذا ازمنت لا تزول في عام وعامين ومن المحتمل انهم ارتكبوا خطأً كبيراً لانهم اعتمدوا على العزلة فانفقوا الاموال الطائلة على تقوية جنديتهم حتى تضاعف ربا دين الحكومة ولم يستطيعوا ان يسدوا اول عدو مهاجم . ولو انضموا الى الاتحاد الثلاثي او الى الاتفاق الثلاثي لكفوا مؤونة جانب كبير من النفقات الحربية وانفقوا بقية الاموال على ما يصلح مرافق السلطنة ولما طمعت بهم دولة اجنبية

## الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية[1]

كنت وعدت قبلاً اني سوف اعلل حسب مبدإ الدفع العام الذي اذهب اليه ما لا يعلل بالجاذبية العامة من الظواهر الطبيعية والفلكية فجئت اليوم افي بما وعدت قبلاً . وقد يقول لي من لا يثق بمعرفة الشرقي الذي لم يتخرج مثلي في مدارس الغرب العالية من اين لك هذه العلوم وفي اي مرصد رصدت الكواكب . فاجيبهُ قائلاً لا تعجب فان هذه العلوم علوم آبائي واجدادي وقد ورثت الميل اليها منهم . ولا يضرني كوني لم اتخرج في مدارس الغرب العالية فاني تعلمت جلّ علومهم من الكتب المعربة من لغاتهم فيها . بل ان معرفتي لعلومهم مع عدم تخرجي في مدارسهم مزية لي يجب ان احمد عليها . وكذلك لا يضرني كوني غير مالك لمرصد ارصد به كواكب السماء فاني ابني ما اذهب اليه على نتائج ما اكتشفهُ اهل المراصد من علماء الغرب ولا احيد عما ثبت لهم بالآلات قيد شعرة . ولما كنت واثقاً بكل ما استنتجهُ فاني اصرح برأيي غير هيّاب من نقد الناقدين واعتراض المعترضين واقول :

ذكر العلماء نواميس الجاذبية العامة والالتصاقية والالفة الكيماوية والجاذبية الكهربائية كلاً على حدة ولم يذكروا ناموساً واحداً يشمل انواع الجاذبيات كافة بل اكتفوا بقولهم ان المادة تجذب المادة وان الدقائق المادية تتجاذب على صورة اخرى فيتألف منها الاجسام وان

(١) [ المقتطف ] وردت الينا هذه الرسالة منذ خمسة اشهر فتأخر نشرها لكثرة المواد